مكافحة سوء التغذية

بقلم: لويز بوتّرتون

Flickr.com/publik11

أَلَن جاكسون يوضّح كيف تساعد التكنولوجياتُ النووية العلماءَ على فهم حالة سوء التغذية ومعالجتها ومنع حدوثها حيثما يُحتمَل أن تصيب هذه الآفةُ الأطفالَ.

سؤال: ما هي وطأة تأثير أوضاع سوء التغذية على الأجيال الشابة من سكان العالم؟

أَلَن جاكسون: وفقاً لأحدث التقديرات، يبلغ عدد الأطفال دون الخامسة من العمر الذين يُتوفّون في كل عام زهاء ١٠ ملايين طفل؛ أيْ طفلاً كل ثلاث أو أربع ثوانٍ. ويبدو أن أكثرهم يقضون نحبهم إما بسبب الإصابة بأمراض معدية، مثل الملاريا أو فيروس نقص المناعة البشري، وإما بسبب أمراض الجهاز التنفسي. ولكنّ ما هو أقل وضوحاً في فهمه هو أن أكثر من نصف عدد أولئك إنما الأطفال يعانون أيضاً حالة سوء تغذية، وكثيراً ما تكون حالة شديدة من سوء التغذية، حين وفاتهم.

وإذ يُوجَّه قدر كبير من الانتباه إلى كيفية معالجة عدوى الأمراض التي تصيب هؤلاء الأطفال، فإن الانتباه الذي يُوجَّه إلى كيفية معالجة حالتهم الغذائية الهزيلة أقلّ من ذلك بكثير. ومن البديهي أنك إنْ لم تعالج حالتهم الغذائية السيّئة في المقام الأول فإنهم على الأرجح سوف يُصابون بعدوى الأمراض. وفي المقام الثاني، فإنهم حينما يصابون بعدوى مَرضيّة، يصعب كثيراً بعد ذلك أن تؤدّي العلاجات الدوائية عملها في تحسّن حالتهم الصحية، إذا ما كان سوء التغذية أيضاً أحد العوامل المسبِّبة لإصابتهم بالمرض.

قُرابة ١٠ ملايين طفل دون الخامسة من العمر يموتون في كل عام، وأكثر من نصف عدد أولئك الأطفال يعانون سوء التغذية، وكثيراً ما يكون لديهم حالات شديدة من سوء التغذية، حين وفاتهم.

وإذا ما أُريد لزيادة الانتباه إلى تدبّر معالجة الإصابة بفيروس نقص المناعة البشري والسلّ والملاريا، أن يكون لها تأثير حقيقي، فلا بدّ أيضاً من توجيه المزيد من الانتباه إلى ضرورة الحرص على حصول الأطفال على تغذية أفضل، وذلك لكي يكون لديهم القدرة أيضاً على المقاومة التي تقيهم من التعرّض للمشاكل نفسها مجدّداً.

س: ما هي على التمام حالة سوء التغذية؟ هل هي حالة عدم الحصول على ما يكفي من الغذاء، أم حالة الحصول على النوع الخطأ من الغذاء، أم ربّما حتى حالة الحصول على أكثر ممّا ينبغي من الغذاء؟

أ.ج.: على الأرجح، كان هنالك فيما مضى كثير من الالتباس حول ما يُسمّى عادةً سوء تغذية. ومن الواضح أن الناس يكون لديهم سوء تغذية بطرق مختلفة. وأما الموضوع المعيّن الذي نحن بصدد الاهتمام به فهو يخصّ الأطفال المصابين بنقص الوزن، إما لأنهم لا يحصلون على قدر كاف من الغذاء وإما لأنهم لا يحصلون على غذاء كاف من النوعية الصحيحة – أي بعبارة أخرى، كانوا يحصلون على غذاء من نوعية رديئة.

علماً بأن الشكل الظاهر من سوء التغذية على نحو أوضح في كثير من الأنحاء في العالم المتقدّم النمو إنما هو الوزن الزائد أو السمنة. ولكنْ لا بدّ من القول مجدّداً، بأن هنالك إحساساً بأن جزءاً كبيراً من هذه الظاهرة يُعزى إلى سوء نوعية الغذاء، وربّما إلى تناول كثير جداً من الأغذية ذات النوعية السيّئة. ولذلك فإن المسألة سواء أكانت فرط الوزن لدى الأطفال أم كانت نقص الوزن لديهم، فإن السؤال عن نوعية الغذاء هو الذي يتّسم بالأهمية في هذا الخصوص.

س: أين تنتشر ظاهرة سوء التغذية على أشدّ نحو في العالم، وهل تعلّم ما هو سبب ذلك؟

أ.ج.: هنالك بشائر عن سوء التغذية عموماً، ونقص التغذية لدى الأطفال خصوصاً. وهذه الأنباء السارّة تخبرنا عمّا حدث، في أنحاء كثيرة من العالم طوال الخمسة عشر عاماً ونيّفٍ الماضية، من مظاهر تحسّن بالغة الدلالة. ومن تضاؤل عدد الأطفال ممّن يعانون نقص التغذية. وفي الواقع، إن هنالك خشيةً من ظاهرة الإفراط في التغذية لدى الأطفال.

غير أن هنالك أنحاء من العالم لا يزال لدينا بشأنها دواعي قلق شديدة، وخصوصاً منطقة أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، حيث إن نسبة الأطفال دون الخامسة من العمر الذين يعانون نقص التغذية لا يطرأ عليها أيّ انخفاض – بل إنها في بعض المناطق لا تزال آخذة في التصاعد بالفعل. كما أن هنالك أنحاء أخرى من العالم، مثل منطقة جنوب شرقي آسيا، قد لا تُعتبَر فيها نسبة الأطفال

فرقة العمل الدولية المعنية بسوء التغذية

فرقة العمل الدولية المعنية بسوء التغذية (IMTF) هي فرقة مشتركة بين عدّة وكالات، تُعنى بالشؤون الاستشارية والدعوة إلى المناصرة معنية فيما يخصّ سوء التغذية، تعمل على تحقيق غرض مزدوج:

١– إبراز ملامح ظاهرة سوء التغذية للعيَان: سوء التغذية عامل يسهم في أسباب وفيات ما نسبته ٦٠ في المائة من الأطفال دون الخامسة من العمر. ومن ثَمّ فإن الحدّ من استفحال سوء التغذية جانب حيوي في استراتيجيات الحفاظ على بقاء الأطفال. ومع أن كثرة الوفيات الناجّة عن تأثير سوء التغذية تعادل كثرة الوفيات الناجّة عن الأيدز والسل والملاريا، فإن ظاهرة سوء التغذية لا تحظى في الوقت الراهن ما تستوجبه من الانتباه في السياسات العامة بشأن الصحة وفي تخصيص الموارد.

٢– بناء القدرات اللازمة للوقاية من سوء التغذية ومعالجته:شكّل عدد وفيات الأطفال الذين يعانون حالات شديدة من سوء التغذية نسبة كبيرة من مجموع الوفيات التي تقع في مجال طب الأطفال في المستشفيات في البلدان النامية. ويمكن منع حدوث معظم تلك الوفيات باتّباع المبادئ التوجيهية الخاصة بالمعالجة. كما إن المعالجة القائمة أساساً على المجتمعات المحلية يمكن أن تخفّف من أعباء الرعاية عن كاهل المستشفيات، وأن تقصّر مدّة المعالجة الداخلية للمرضى، وأن تعود بالنفع على الأطفال الذين لديهم حالة معتدلة الدرجة من سوء التغذية.

إن إيجاد منظومة متكاملة من الوقاية والإحالة الطبية في حينها والمعالجة الداخلية الصحيحة للمرضى، والرعاية الفعّالة القائمة أساساً على المجتمعات المحلية، سوف يؤدّي إلى تحسين بقاء الأطفال على قيد الحياة وتطوّرهم، وإلى بناء القدرة اللازمة للعاملين في مجال الصحة، وكذلك إلى تعزيز النظم الصحية.

وقد استُهلّ إنشاء فرقة العمل الدولية المعنية بسوء التغذية خلال المؤتمر الدولي الثامن عشر بشأن التغذية، التابع للاتحاد الدولي لعلوم التغذية، الذي دعا إلى عقده، في ديربان في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٥، رئيسُ الاتحاد الدولي المذكور البروفسور ريكاردو أواي.

للحصول على مزيد من المعلومات، زوروا الموقع الشبكي: www.imtf.org

الذين يعانون نقصاً في التغذية قد لا تكون مرتفعة بقدر مماثل، ولكنّ لأن عدد السكان ضخم جداً، فإن أعداد الأطفال الذين يعانون سوء التغذية كبيرة جدا في الواقع. ومن ثم فإن المنطقتين اللتين علينا أن نركّز عليهما على أشدّ نحو تقعان في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وفي تلك الأنحاء من جنوب شرقي آسيا، حيث تشيع هذه المشكلة فيها.

س: الوكالة الدولية للطاقة الذرّية تشارك في فرقة العمل الدولية المعنية بسوء التغذية. فما هو الدور الذي تؤدّيه العلوم النووية في أهداف منظمتكم؟

أ.ج.: يستطيع المرء أن ينظر إلى هذا المجال من الناحية التاريخية. فنحن نعرف ما ينبغي لنا أن نفعله بالنسبة إلى معالجة الأطفال الذين يعانون حالة سوء تغذية، لأن بحوثاً أُجريت منذ ٤٠ أو ٥٠ عاماً مضت، مما ساعدنا على فهم المشاكل التي كانت تقع وكل ما كان يحدث حينذاك. وقد أُجري بعض تلك البحوث باستخدام العلوم النووية.

واحد من التحدّيات التي تواجهنا الآن هو تكوين فهم أفضل لكيفية استجابة الأطفال في مختلف أنحاء العالم للأنظمة الغذائية؛ أيْ كيف تستجيب أجسادهم، وكيف نقدّر حسنَ نموّهم، وكيف يمكن أن ينموا على نحو أفضل إذا ما قُدّمت لهم أنظمة غذائية مختلفة.

والوكالة الدولية للطاقة الذرّية تسهم على نحو مباشر في تكوين فهم أفضل عن "نوعية النمو" أثناء المرحلة المبكّرة من العمر، وذلك من خلال تقديم الخبرة الاختصاصية التكنولوجية في استخدام التقنيات النووية، وخصوصاً تقنية النظائر المستقرّة (غير المشعّة)، لتقييم التغيّرات في تركيب الجسم، أيْ دهون الجسم مقابل عضلات الجسم، استجابةً إلى أنظمة غذائية مختلفة. ومن ثَمّ فإن هذه التقنيات تضيف قيمةً إلى الطرائق المعهودة بما تقدّمه من معلومات محدّدة.

س. ينتظر قدرٌ كبيرٌ من العمل في طيّات ما هو مُقبل من الزمن، وبخاصة في تلك اللحظة الآتية ونحن نمرّ في أزمة غذاء عالمية. فماذا سوف يكون دور العلوم النووية في المستقبل في ميدان عملكم؟

أ.ج.: أظن أن المسألة الأولى التي علينا أن نوضّحها هي أننا حينما نتحدّث عن العلوم النووية قد تتراءى في مخيّلة البعض تصوّرات مرعبة عن حدوث أمور شنيعة. لكنّ العلوم النووية التي نستخدمها في مجال التغذية مأمونة تماماً، وغير مؤذية، ولا تثير أيّ مخاطر لأحد. ولذلك فإن الطريقة التي ندير بها أعمالنا مأمونة جداً.

الأمر الثاني هو أن من الممكن استخدام العلوم النووية في التتبُّع الدقيق لما يحدث للغذاء داخل الجسم: كيف يستخدمه الجسم، وكيف يستخدم الجسمُ الغذاءَ في نموّه. وأما بالنسبة إلى الأطفال في مراحل نموّهم وتطوّرهم، فإن من الممكن تعقُّب مسار هذه العملية، وفهمها على نحو أفضل من دون فعل أي شيء إقحاميّ بصفة خصوصية، وإنما بالحرص على البراعة الابتكاريّة فحسبُ في جمع تلك المعلومات.

واحد من الأمور التي كنّا نريد أن نفعلها منذ وقت طويل هو معرفة كم هو مقدار الماء الموجود داخل الجسم. فإن الجسم في معظمه مكوّن من الماء، ويمكنك أن تقيس كمّيته باستخدام الأدوات النظائرية المناسبة. ومنذ وقت طويل كانت هذه القياسات تتطلّب تكنولوجيا متطوّرة ومعقّدة، ولكن الوكالة الدولية للطاقة الذرّية ما فتئت تعمل بدأب على إدخال تكنولوجيات أكثر بساطة إلى أنحاء مختلفة من أفريقيا وجنوب شرقي آسيا وأمريكا اللاتينية. وقد تمكّنت هذه التكنولوجيات من تزويدنا بمعلومات جيدة بطرائق بسيطة نسبياً. وأما ما تبيّناه من خلال تلك المعلومات فهو أن الناس وإنْ كانوا سواء في تكوينهم الأساسي، فإن هنالك فوارق مهمّة من مكان إلى مكان، ومن الضروري وضعها في الحسبان عند البحث عن حلول للمشاكل.

آلَن جاكسون بروفسور في معهد التغذية البشرية التابع لجامعة ساوثهامبتون، ويتولّى تنظيم اجتماعات فرقة العمل الدولية المعنية بسوء التغذية.
البريد الإلكتروني:
A.A.Jackson@southampton.ac.uk
لويز بوتّرتون خبيرة استشارية لدى شعبة الإعلام العام في الوكالة الدولية للطاقة الذرّية.
البريد الإلكتروني:
L.J.Potterton@iaea.org

للحصول على مزيد من المعلومات، زوروا الموقع الشبكي:
www-naweb.iaea.org/nahu/nahres/default.shtm

لمشاهدة هذه المقابلة المصوّرة بكاملها، زورو: *www. iaea.org/podcasts*